مكانة القيم الجمالية (أ.الحسية ،ب.الشكلية ، ج.الارتباطية):

لقد اختلف النقاد والفلاسفة في تعريفهم لطبيعة القيم الجمالية ومقاييسها كما اختلفوا في تفسيرهم للقيم الاخلاقية ومقاييسها فقد يرجعون هذه القيم الى عالم مثالي يفوق الواقع او يرون ان مرجعها شعور الانسان فيما يعجبنا او نفضله فهو الجميل وهو الخير ، ولكن قد يحدث ان يعجب الناس بعمل فني معين ويتجاهلون عملا اَخر ثم تثبت الايام ان ما يعجبون به ليس بذي قيمة . وما يتجاهلونه أكثر قيمة وأثبت على مر الايام ، وتاريخ الفن حافل بأمثله لروائع لم يقدرها اهل زمانها التقدير اللائق بها اذ من المحتمل مثلا ان يخطئ عمل فني باستجابة سريعة من أكثر الناس بسبب الالفة او السهولة او البساطة ، فيصبح تقدير القيمة كما يقولون مرتبطا بعدد الرؤوس التي وافقت على وجودها وقد لا يكون هذا مقياساً صحيحاً، لذلك يفضل البعض تعريف القيمة بأنها ليست فيما نفضله فعلا بل فيما هو قادر على اثارة تفضيلنا واعجابنا ، وسواء استجاب الناس او لم يستجيبوا يمكن للشيء ان يكون ذا قيمة متى توافرت الظروف السليمة لكي تتم هذه الاستجابة وعندما يكون موضع الخبرة الصحيحة فالقيمة بهذا المعني هي ما هو موجود بالقوة على حد قول ارسطو وليس هو الموجود بالفعل او هو ما ينبغي ان يكون على حد تعريف الفيلسوف الامريكي جون ديوي من ان القيمة لا تظهر فيما نرغب فيه فعلا بل فيما ينبغي لنا ان نرغب فيه .

وقد امكن للفيلسوف الالماني (عمانوئيل كانت) ان يوضح طبيعة الحكم بالجميل او يوضح طبيعة الحكم بالجميل او حكم الذوق كما يسميه في كتابه "نقد الحكم "وفي رأيه ان الجمال لا يرجع الى الاشياء وإنما مصدره الذات ولكنه مع ذلك ليس ذاتيا صرفا وليس مجرد شعور سيكلوجي ولكن فيه صفات الكلية والضرورة فيه الشروط السابقة على الخبرة الحسية.

اي ان كانت يحدد للجمال ميدانه الخاص المستقل عن مجال المعرفة النظرية من جهة ومجال السلوك الاخلاقي من جهة أخرى .

ومن بين الفلاسفة المعاصرين يقدم الفيلسوف الامريكي جورج سانتيانا مذهبه في القيمة الجمالية ضمنه كتابه الاحساس بالجمال .

يرى سانتيانا ان الجمال لا يوجد مستقل عن احساس الانسان ، وقولنا ان هناك جمالا لا ندركه يساوي قولنا ان هناك إحساس لا نشعر به ، والاحساس بالجمال يختلف عن باقي الاحساسات الاخرى لأنه احساسا وان يخاطب الشعور الا انه مصحوب بادراك وبحكم نقدي او بفعل تفضيل بمعنى أننا لا نفضل الاشياء لأنها تنطوي على جمال معين و أنما تصبح الاشياء جميلة وذات قيمة لأننا نفضلها.

وهذا الحكم بتفضيل الاشياء يستلزم قدرا من العمومية وليس معنى ذلك ان الحكم بالجمال حكم مطلق وضروري ولكن ذلك يعني انه اذا تساوت الظروف وتشابهت الاذواق والادراك فعندئذ يحدث اتفاق بين احكام الناس على الجمال .

ويفرق سانتيانا بين الاحكام الاخلاقية والاحكام الجمالية على اساس القول بأن القيم الاخلاقية هي قيم سلبية بمعنى أننا لابد ان ندرك الشر كي ننهى عنه في حين ان الحكم بالجمال قائم على خبرة مباشرة وايجابية بالموضوع ولا يتحتم أن ندرك القبيح كي ننهى عنه .

وبذلك يمكن لنا ان نعرف القيم الجمالية هي المبادئ او فضائل كائن او حدث او شخص والتي يمكن ان تولد احكاماً مختلفة او تلهم ردود فعل ايجابية او سلبية .

تقسم القيم الجمالية انواع ، وهذه الانواع مستقله عن بعضها البعض ، وكل منها يؤدي استجابة من نوع خاص لدى المشاهد . ويمكن تقسيم القيم الناتجة عن هذه الاستجابات المختلفة الى حسية ، وشكلية ، وترابطية .

1-القيم الحسية :

القيمة الحسية هي تلك التي تنشأ عن ادراك الون او أشكال أو اصوات معينة ، على نحو مستقل عن التنظيم الشكلي الذي تتجسد فيه هذه العناصر ، وعن الفكرة أو "المعنى "الذي يفترض أن العمل الفني يعبر عنه . مثال ذلك ان السطح المصقول للرخام والجرانيت وبعض انواع الخشب وكثيرا من المعادن ، يجتذب مباشر حاستي الابصار واللمس لدينا .وكثير من الألوان تبعث لذة حتى لو كانت تبدو بقعا منفصلة . ويؤدي اللون النغمي لآلات موسيقية معينة وكذلك عدد من الاصوات التي تسمع في الطبيعة الى اعطائنا لذة سمعية مستقله تماما عن اللحن او الايقاع الذي تتجسد فيه هذه الاصوات .

2- القيم الشكلية :

القيم الشكلية عادة اقل وضوحا من الحسية ، وهي تنشأ من اللذة التي يجدها الذهن في ادراك جميع انواع العلاقات ، وقد تكون هذه علاقات هوية او تشابه او مماثلة او تضاد.. الخ .وقد تقع هذه العلاقات بين العمل الكامل وبين اجزائه ، أو بين بعض الاجزاء أو بين كليات فنية مختلفة من أنواع شتى . وهكذا نجد في العمارة أن واجهة المبنى تمثل علاقات شكلية متعدة ، كنيسة ارتفاع المبنى الى عرضه، والحجم النسبي للأبواب والنوافذ وشكلها ، والتضاد بين المساحات تنار بقوة ، وتلك التي توجد في الظل ، وفي التصوير ، توجد تلك العلاقات الواضحة في التشابه والتضاد والاستجابة التجاوبية بين الأقواس او المنحنيات وبين الزوايا ، أو بين مختلف الاشكال الهندسية في التكوين الكامل .

وفضلاً عن ذلك نجد كل امكانيات العلاقات الكامنة في اللون . وهذه لا تشمل فقط على التقابل بين الاصباغ والدرجة اللونية ، بل تشمل أيضا على التعارض بين الألوان الباردة المنكمشة (الازرق والاخضر مثلا) وبين الالوان الحارة(الاحمر والارجواني). وفي الموسيقى يمكننا أن نستغل علاقات السلم والمقام ، والون الصوتي و الارتفاع والانخفاض والايقاع والحجم الصوتي . ولكل من الفنون الاخرى امكانيات غنية أخرى في العلاقات ونخص منها الشعر .

فالقيم الشكلية تنشأ عن ادراك الذهن هذه العلاقات ، حتى لو كان ادراكه هذا مبهما ، ووجد فيها لذة أو دلالة .

3- القيم الارتباطية :

القيم الارتباطية (وتسمى ايضاً بالقيم اللفظية ،أو التصورية ، أو الادبية ، أو الرمزية ، أو قيم المضمون)هي تلك التي تضفي على الموضوعات الجمالية معنى يمكن التعبيرعنه بالكلمات ، وتصبح مرتبطة بالموضوعات لأنها تذكر المشاهد أو السامع بأشياء أو افكار أو حوادث توجد (او كانت توجد) خارج المجال الجمالي . وهكذا فان صورة رجل يضحك ، تعبر عن المرح او الطرب ، لأن هذا هو المعنى المرتبط بالضحك في الحياة اليومية ، على حين أن قطعة موسيقية معينة قد تطربنا لأن لها ارتباط وثيقاً بمناسبة سعيدة معينة في الماضي .

وينبغي أن نشير الى تمييز آخر داخل فئة القيم الارتباطية .تنقسم فيه هذه القيم الى أولية وثانوية .

فالارتباطات الاولية هي تلك التي يفترض أنها تسري على الناس جميعاً. كالعلاقة الضحك والمرح . أما الارتباطات الثانوية فيه فردية وشخصية بالمعنى الدقيق ، كالذكريات السعيدة المرتبطة بمصنف موسيقى معين .